مراجعات

١ – «بيروت» قصيدة محمود درويش
مفاجأة الروعة من شاعر المرحلة

دراسة الشعر، ليست بالأمر الهين، وبخاصة اذا كان الشاعر كمحمود درويش الذي ذهبنا، ومنذ منتصف الستينات، أيام كان في الوطن المحتل، وعلى وجه التحديد مع ديوانه «عاشق من فلسطين»، إلى انه يحمل سمات شاعر المرحلة جميعها، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، اذا ما استمر صعداً في ميادين الشعر واذا لم تزلّ به القدم، على غير توقع، أو يستلم الدفة، إلى عديد التيارات، التي تحيط به من كل جانب.

وقد كانت موجة «الحداثة» أخطر هذه التيارات عليه! هذه «الحداثة» التي عرفناها في السنوات الأخيرة، وهي غريبة عن معنى الحداثة الحق، البعيد عن الارتجال، وتجاوز المراحل دونما تمعن أو روية، كما عرفنا ذلك عند ادونيس بالذات، وما يشبهه المدرسة التي حاول ارساء اسسها، قلم يفلح حتى اللحظة...

كنا نتابع محمودا درويش، ويد الواحد منا على قلبه، كما يقولون، ليس حباً بدرويش، ولكن، لعلمنا الأكيد، ان الزمان، لا يجود علينا في كل حقبة، وربما خلال حقب متطاولة، احياناً، إلا بشاعر فذ، هذا اذا جاد...

وهو، منذ بداياته، نلح على هذه النقطة، يحمل سيماء شاعر المرحلة، بتمكّن وجدارة.

فهو، أي درويش، كفرس الرهان، الذي يسرع، عجلان، واثقاً، من أفق إلى أفق، مخلياً وراءه وفود الانفراس، وقد هدّه التعب والنصب...

وكانت قصيدته الأخيرة «بيروت» في ملتقى الشقيف، والنقط الواحد منا انفاسه، والرخ روعه، فمحمود درويش يعود البنا، كما راهنّا عليه دائماً، يعود إلى محمود درويش...

من هذا المنطلق، ومن هذا الحرص، حرصنا على الشعر أولاً، لا بد لنا من ان نمر بالقصيدة، ولو مرّ العجالة، لنفندها، ونشير الى ما فيها من روعة، ومن مثالب في آن معاً، وكلنا أمل، في ان يتسع صدر محمود للنقد، وهو الأمر الذي يزعج العاديين من الشعراء، خاصة حين يعرف، اننا لا نقصد الا وجه الشعر، ومن موقع الحرص عليه، الحرص على الشعر...

ثمة ناحية، وقبل البدء بالمرور على «مرابع قصيدة بيروت» لا بد من التوقف عندها، ولو كان من الافضل الا نفعل، وهي ان بعض قصيري النظر، أو الذين انطلقوا من عقد غريبة على الشعر، فاعتبروا ان تعبير «بيروت خيمتنا الأخيرة» هو بمثابة الاشارة، أو حتى الدليل القاطع، في تفكيرهم العجيب، على ما